اسم الله تعالى



اللَّطيف

جمع

أ. هيفاء عبدالله الرشيد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [سورة النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنَّ العلم بالله وأسمائه وصفاته من أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهم هذا العلم اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب(١).

وإنَّ معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى مما يزيد الإيمان، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "إن الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان وروحه، وأصله وغايته فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله، وصفاته ازداد إيمانه، وقوى يقينه"(٢).

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وكما أنه الله تعالى واحد، فهو وحده المتصف بالأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه:٨]. فما عرف عبدٌ ربَّه بمثل ما تعرف عليه من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العُلى. وكلما ازددت معرفة بأسمائه وصفاته سترى من نفسك عجبًا، نحو الله تعالى وشعورًا تجاهه، وتعاملاً معه، وخشيةً منه، ومحبةً له، وإذعانًا له، وتعظيمًا لجَنَابه الكريم.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/٦٦).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (صـ٧٢).

ومن هذه الأسماء الحسنى، البالغة في الحسن منتهاه، بل لا نهاية لكمال حسنها؛ اسم الله اللطيف، الذي يلطف بعبده في الأمور الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر، اللطيف الذي يُحبب العباد في أفعال الخير، وهو الذي يجازيهم على فعلها، اللطيف الذي لا يعاجل من عصاه، ولا يخيب من رجاه، اللطيف الذي لا يُرد سائله، ولا ييأس آمله، اللطيف الذي يعفو عمن يهفو، وهو الذي يرحم من لا يرحم نفسه.

أولاً: ﴿ وروده في القرآن الكريم ﴾

ورد اسم الله اللطيف في سبع آيات، وهي:

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف:١٠٠].

﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج:٦٣].

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:١٦].

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:١٩].

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٤].

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤].

ثانياً: ﴿ وروده في السنة ﴾

ورد اسم الله اللطيف في السنة في صحيح مسلم من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لها: «لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٩٧٤).

ثالثاً: ﴿ معنى اسم الله اللطيف ﴾

المعنى اللغوي[١]:

اللَّطِيف هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَ لَهُ الرِّفق فِي الْفِعْلِ والعلمُ بِدَقَائِق الْمَصَالِحِ وَإِيصَالُهَا إِلَى مَنْ قَدَّرَهَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ. يُقَالُ: لَطَفَ بِهِ وَلَهُ، بِالْفَتْحِ، يَلْطُفُ لُطْفاً إِذَا رَفَق بِهِ. فأَما لَطُفَ، بِالضَّمِّ، يَلْطُفُ فَمَعْنَاهُ صغُر ودقَّ. ابْنُ الأَعرابي: لَطف فُلَانٌ يَلْطُفُ إِذَا رَفَق لُطْفاً، وَيُقَالُ: لَطَفَ اللَّهُ لَكَ أَي أَوْصَل إِلَيْكَ مَا تُحِب برِفْق.

واللُّطف: أَي الرِّفق وَالْبِرَّ.

واللُّطْف واللَّطَف: الْبِرُّ والتَّكْرمة والتحَفِّي.

ولَطُف (بضم الطاء): من الدِّقة والخَفَاءِ، ونلاحظ هذا في كلام العلماء عندما يقول أحدهم: وهنا لطيفة، أي معنى خفي.

واللُّطْف (بسكون الطاء): البِرّ والتَّكْرُمَة والاحتِفَاء.

المعنى في حق الله تعالى:

لهذا الاسم معنيان عظيمان:

الأول: أن الله يعلم دقائق الأمور وخفاياها، وما في الضمائر والصدور.

قال الشوكاني رحمه الله في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: "إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. بَلْ يَصِلُ عِلْمُهُ إِلَى كُلِّ خَفِيٍّ"[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله شارحاً معنى هذا الاسم: "الذي لَطُفَ علمه حتى أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور"[٣].

الثاني: أن الله تعالى يحسن إلى عباده من حيث لا يحتسبون.

قال الزجّاج رحمه الله: "اللَّطِيف...هُوَ فِي وصف الله يُفِيد أَنه المحسن إِلَى عباده فِي خَفَاء وَستر من حَيْثُ لَا يعلمُونَ، ويسبب لَهُم أَسبَاب معيشتهم من حَيْثُ لَا يحتسبون"[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب (٣١٦/٩)، وتاج العروس (٣٦٣/٢٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥١/٤).

(٢) فتح القدير (٢٧٥/٤).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (صـ٢٢٥).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجّاج (صـ٤٤).

قال الخطابي رحمه الله: "اللطيف هو البَرُّ بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبِّب لهم من مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]".

وجمع الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله بين التعريفين، فقال: "﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمائر، والخبايا، والخفايا، والغيوب، وهو الذي ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من العبد على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة"[١].

فلطف الله بعبده هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل إلى العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي من اللطف

يقال: لطف الله بعبده، ولطف له: أي تولاه ولاية خاصة، بها تصلح أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فإذا يسر الله أمور عبده وسهل له طرق الخير وأعانه عليها فقد لطف به، وإذا قيض له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها فقد لطف له.

ومن هذا الباب: ما يبتلي اللهُ به عبادَه من المصائب والمحن، وإن كرهوها، فهي من ألطاف الله بهم، فكم من عبدٍ طلب أمراً من أمور الدنيا فيصرفه الله عنه رحمةً به؛ لئلا تضرُّه في دينه فيظلُّ العبد حزيناً من جهله وعدم معرفته بربه، فهو سبحانه بلطفه يقدر أرزاقهم بحسب مصلحتهم، فقد يريدون شيئاً وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفاً بهم: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى:١٩].

قال ابن القيّم رحمه الله: "واسمُهُ اللَّطيفُ يتضمَّنُ: علمُهُ بالأشياءِ الدقيقةِ، وإيصالِهِ الرحمةَ بالطرقِ الخفيّةِ...ومن هذا الباب ما يبتلِي بِهِ عبادِهُ مِنِ المصائبِ ويأمُرَهُم بِهِ مِنَ المكَارِهِ ويَنهاهُم عنهُ مِن الشهواتِ هي طُرُقٌ يوصلِهُم بها إلى سعادتهِم في العاجِلِ والآجِلِ"[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٨٧٦).

(٢) شفاء العليل (ص٣٤).

رابعاً: ﴿آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم﴾

من آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: اطمئنان العبد: لأنّ الله تعالى يعلم كل شيء مهما دقّ، وصغر، وخفي في مكان سحيق، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ **[الأنعام: ٥٩].**

وقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ **[لقمان: ١٦].**

فالله لا يخْفى عليه شيءٌ، ولا الخردلة -وهي الحبَّة الصغيرة التي لا وزن لها- فإنها ولو كانت في صخرةٍ في باطن الأرض أو في السموات، فإنَّ الله يأتي بها، وهو اللَّطيف الخبير.

فهذا عِلمه سبحانه في الجمادات وحركاتها وسكناتها، أما علمه سبحانه في الطيور والحيوانات وسائر الخلائق، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ **[الأنعام:٣٨]**، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ **[هود: ٦]**.

فإذا كان هذا علْمه بالجمادات والطيور والحيوانات، فكيف بالمكلَّفين من الجن والإنس الذين لم يُخلَقوا إلا للعبادة؟ قال تعالى عنهم: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ **[غافر:١٩]**، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ **[يونس:٦١]**.

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ **[الشعراء:٢١٧-٢٢٠]**.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِنْ حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال في حديث جبريل: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠)، ومسلم في صحيحه برقم (٨).

ثانيًا: تنمية شعور المراقبة للنفس: فالله تعالى متصف بدقّة العلم مطلع على خفايا الأمور، وحريٌّ للإيمان بهذا المعنى أن يورث المحاسبة في نفس المؤمن على الأقوال، والأفعال، والحركات، والسكنات. والعبد إذا علِم أن ربه متَّصف بدقَّة العلم وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة، حاسَبَ نفسه على أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، والله تعالى يجازي العباد على أعمالهم، فالمحسن لا يَضيع من إحسانه مثقالُ ذرة، ولا المسيء يضيع من سيئاته مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثالثًا: يقين العبد بلطف الله ورأفته بعباده: حتّى وإن حصل له مكروه أو نزلت به نازلة، وأن الله يجازي على الخير مهما صغر، ويُحاسب على الشر والأذى فيطمئن العبد ويستكين قلبه.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»[(١)].

رابعًا: استشعار رحمة الله وكرمه وإحسانه: فهو لطيف يُضاعف أجر المؤمن، ويتجاوز عمّا شاء من المسيء، وفقًا لحكمته وسلطانه، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

خامساً: الرضا والسكينة: حيث إنَّ الله تعالى متكفّل بعباده، ويُيسر لهم الخير واليُسر، ويقيّض لهم أسباب الصلاح والبر، ويسوق إليهم أرزاقهم وحاجاتهم وأسباب معيشتهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى:١٩]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٦٨).

خامساً: ﴿من مظاهر لطف الله بعباده﴾

إنَّ مظاهر لطف الله بعباده كثيرة، لا يمكن حصرُها، أو الإحاطةُ بها، ومن ذلك:

- لُطْفه سبحانه بخَلْقه خلق الجنين في بطن أمِّه في ظلمات ثلاث: ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة، وهو في بطن أمه يتقلَّب في هذه الأطوار: نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم تكسى العظام لحمًا؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].
- لُطْفه بأنبيائه المرسلين، فمن ذلك لطفه بيوسف عليه السلام حين أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدْو، وجمع بينه وبين أبويه، بعد أن نزغ الشيطان بينه وبين إخوته. ومن ذلك لطفه بنبيِّه موسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون، وألقتْه أمُّه في البحر، ووصل إلى قصر فرعون، وقذف الله في قلب زوجة فرعون الرحمةَ لهذا الطفل، وطلبتْ من فرعون أن يُبقيه، فنجا من القتل، ثم امتنع بأمر الله عن الرضاعة، ليرجع إلى أمه فيحصل على حنانها، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص:١٢]، ثم تربَّى في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره.
- ومن لُطفه بعبده، أن قيَّض له كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه سبحانه وتعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة، ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبدَه عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصيته؛ صرَفَها عنه، وقدَر عليه رزقه؛ ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.
- ومن لُطْفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له، وأمره تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعياً لاتباعه.
- ومن لطفه بعباده المؤمنين أنه أمرهم بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقْوى عزائمهم، وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض[(١)].
- وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَمِنَ الْجَهْلِ وَالْمَعَاصِي وَالْبِدَعِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَالْعِلْمِ، وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٨].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٧٥٦)، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٦٤).

● وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِالْهَادِينَ النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ؛ إِذْا قَيَّضَ اللهُ لَهُمْ مَنْ يَهْتَدِي بِهِمْ، وَيَقْبَلُ إِرْشَادَهُمْ؛ فَتَتَضَاعَفُ بِذَلِكَ الْخَيْرَاتُ والأُجُورُ لَهُمْ.

● وَمِنْ لُطْفِهُ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ تَوَّابٌ غَفُورٌ، رَحِيمٌ وَدُودٌ؛ يَتُوبُ عَلَيهِمْ؛ وَجَعَلَ فِيهِمْ يَقَظَةَ الضَّمِيرِ وتأنِيبَهُ، وَأَنْفُسًا لَوَّامَةً؛ تَلُومُ وَتَنَدَمُ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي؛ حَتى يُقْلِعَ الْعَبْدُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَيَكُفَّ.

● وَمِنْ لُطْفِهِ بِعَبْدِهِ وَوَلِيِّهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِ إِحْسَانِهِ، وَيَشْمَلَهُ بِكَرَمِهِ، وَيُرَقِّيَهُ إِلَى الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ؛ أَنْ يُيَسِّرَهُ لِلْيُسْرَى، وَيُجَنِّبَهُ الْعُسْرَى، وَيَغْفِرُ لَهُ، وَيَرْحَمُهُ، ويبتليه بالأمراض وينزل عليه الشفاء.

● إِنَّ مِنْ لُطْفِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَهُمْ بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِمَصَالِحِهِمْ، لَا بِمَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ، وَيُقَدِّرُ الأَصْلَحَ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى:١٩].

● وَمِنْ لُطْفِهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدِهِ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مَا يَظُنُّهُ الْعَبْدُ خَيْرًا؛ وَلَكِنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ شَرٌّ؛ فَقَدْ يَصْرِفُ عَنْه سَفَرًا مِنْ لُطْفِهِ بِهِ؛ لِعِلْمِهِ بِمَا سَيُحْدِثُ لَهُ فِي سُفَرِهِ هَذَا لَوْ سَافَرَ فِيهِ. وَقَدْ يُؤَخِّرُ تَخَرُّجَهُ مِنَ الْجَامِعَةِ، أَوْ اِلْتِحَاقَهُ بِوَظِيفَةٍ مِنْ لُطْفِهِ بِهِ، فَلَوْ تَخَرَّجَ، أَوْ تَوَظُّفَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَّمْنَاهُ هُوَ؛ لَحَدَثَ لَهُ مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ.

● إِنَّ مَنْ مَظَاهِرِ لُطْفِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ فَوْقَ الْكِفَايَةِ، وَكَلَّفَهُمْ دُونَ الطَّاقَةِ، فَمَا هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ بِالنِّسْبَةِ لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً؟ وَمَا هُوَ صَوْمُ شَهْرٍ بِالنِّسْبَةِ لاِثْنَيِّ عَشَرَ شَهْرًا؟ وَمَا هِيَ نِسْبَةُ اِثْنَيْنِ وَنِصْفَ بِالْمَائِةِ مِنْ مَالِهِ يُخْرِجُهُ للزَّكَاةِ، مُقَابِلَ سَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ وَنِصْفٍ بِالْمَائَةِ لَهُ؟

● وَمِنْ مَظَاهِرِ لُطْفِهِ: تَوْفِيقُهُم لِعِبَادِتهم، مِنْ خِلَالِ أَمْرِهِمْ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الأَذْكَارِ وَالأَوْرَادِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ. وأعلى مراتب توفيق الله تعالى لعبده؛ أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله تعالى بها عليهم في قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧].

● وَمَنْ نَجَا مِنْ حَادِثٍ أَوْ مُصِيبَةٍ، أَوْ رَجَعَ سَالِمًا بَعْدَ طُولِ غِيَابٍ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ لُطْفِ اللهِ بِهِ. وَانظُرْ إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا قَالَ حِينَمَا اِجْتَمَعَ مَعَ أَهْلِهِ بَعْدَ فُرَاقٍ بَلَغَ عَشَرَاتِ السِّنِينَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠]؛ حَيْثُ مَرَّ بِمَصَاعِبَ عَظِيمَةٍ مُنْذُ صِغَرِ سِنِّهِ؛ فَتَآمَرَ عَلَيْهِ أُخْوَتُهُ، وَحَرَمُوهُ مِنَ الْبَقَاءِ مَعَ وَالِدَيْهِ؛ مِحَنٌ مُتَوَالِيَةٌ، لَوْ نَجَا مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ لَصَعُبَ أَنْ يَنْجُو مِنَ الثَّانِيَةِ، غَيَاهِبُ الْجُبِّ، ثُمَّ رِقٌّ، ثُمَّ تُهْمَةٌ ظَالِمَةٌ تَقُودُ إِلَى السِّجْنِ، بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهِ وَمَعَارِفِهِ وَحِيدًا؛ وَلَكِنَّ اللهَ لَطَفَ بِهِ؛ فَالتَّدَابِيرُ لَيْسَتْ بَشَرِيَّةً، إِنَّمَا هِيَ إِلَهِيَّةٌ. فَالْجُبُّ كَانَ حِمَايَةً لَهُ

مِنَ الْقَتْلِ، وَالرِّقُّ كَانَ حِمَايَةً لَهُ مِنَ التِّيَهَانِ فِي الصَّحْرَاءِ، وَالسَّجْنُ كَانَ حِمَايَةً لَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، بِالنَّجَاةِ مِنْ فِتْنَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَصُوَيْحِبَاتِهَا، وَتَعَرَّفَ فِي السِّجْنِ عَلَى رَجُلٍ يُوصِّلُهُ لِلْمُلِكِ، فَكَانَتْ هَذِهِ مِنْ أَلْطَافِ اللهِ بِهِ، وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِهِ أَنْ جَعَلَ مَعْرِفَتَهُ بِتَعْبِيرِ الرُّؤَى سَبِيلًا لِنجاتِهِ، وَتَوَلِّي خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَاجْتِمَاعِ شَمْلِ أُسْرَتِهِ، وَتَوْبَةِ إِخْوَتِهِ، وَبَرْدِ كَبِدِ أَبِيهِ، وَشِفَاءِ عَيْنِهِ، فَحَكَى عَنْهُ اللهُ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

● وَمِنْ لُطْفِهُ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ أَوْجَبَ فِي حَالَاتٍ، وَحَبَّبَ فِي حَالَاتٍ مَا يُقَوِّي الْأَوَاصِرَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ؛ حَتى يَكُونَ النَّاسُ كُلٌّ مِنْهُمْ لَطِيفًا بالآخَرِ، فَأَوْجَبَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ، وُصِلَةَ الْأَرْحَامِ، وَتَشْمِيتَ الْعَاطِسِ، وَرَدَّ السّلامِ، وَحَبَّبَ إِفْشَاءَ السَّلَامِ، وَالتَّهَادِي، وَالْعَفْوَ، وَالصَّفْحَ.

● وَمِنْ لُطْفِهُ بِعِبَادِهِ أَنْ حَثَّهُمْ عَلَى الْقَوْلِ اللّيِنِ وَالْحَسَنِ؛ حَتَّى يَكُونَ الْعَبْدُ لَطِيفًا مَعَ النَّاسِ، بَلْ وَأَمَرَ بِتَلْطِيفِ الْكَلاَمِ حَتَّى مَعَ الطُّغَاةِ، بَلْ وَمَعَ فِرْعَوْنَ أَكبرِ طَاغِيَةٍ عَرَفَهُ التَّارِيخُ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُوسَى ولأخيهِ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، وَقِيلَ: إِنَّ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ قَالَ لَهُ رَجلٌ: "إِنّي سَأَقُولُ لَكَ قَوْلًا وَأُغْلِظُ عَلَيْكَ فِيهِ"، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَة: "لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، إِلَى مَنْ هُوَ أَشَرُّ مِنِّي فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ قَوْلًا لِيِّنًا".

● وَأَثَابَ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَالصَّدَقَةِ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ؛ فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ أَلطافِهِ بِعِبَادِهِ.

● وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ أَنْ يُعْطِيَ عَبْدَهُ مِنْ الأولَادِ ، والأَمْوَالِ، والأَزْوَاجِ ؛ مَا بِهِ تَقَرُّ عَيْنُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَحْصُلُ لَهُ السُّرُورُ.

● وَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ أَنْ يُعَافِيَهُ مِنْ أَسْبَابِ الِابْتِلاَءِ، الَّتِي تُضْعِفُ إِيمَانَهُ، وَتُنْقِصُ إِيقَانَهُ. كَمَا أَنَّ مِنْ لُطْفِهِ بِالْمُؤْمِنِ الْقَوِيّ تَهْيِئَةُ أَسْبَابِ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ، وَيُعِينُهُ عَلَيهَا وَيَحْمِلُهَا عَنْهُ، وَيَزْدَادُ بِذَلِكَ إِيمَانُهُ، وَيَعْظُمُ أَجْرُهُ ؛ فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ فِي اِبْتِلَائِهِ، وَعَافِيَتِهِ، وَعَطَائِهِ، وَمَنْعِهِ.

● وَمِنْ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى بِعَبْدِهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا يَبْتَلِيهِ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ؛ فَيَفْتَحُ لَهُ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي الْمَعْصِيَةِ بَابَ التَّوْبَةِ، وَالتَّضَرُّعِ، وَالِابْتِهَالِ إِلَى رَبِّهِ، وَازْدِرَاءِ نَفْسِهِ وَاحْتِقَارِهَا، وَزَوالِ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ مِنْ قَلْبِهِ. وَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ اِحْتِسابَ الأجْرِ؛ فَخَفَّتْ مَصَائِبُهُ، وَهَانَ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْمَشَاقِّ فِي حُصُولِ مَرْضَاتِهِ.

- ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة يحصل به المقصود، ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل به، بل يعينه على ذلك.
- ومن لطفه سبحانه بعبده أن يقيض له إخواناً صالحين يعينونه على الخير.
- ومن لطف الله بعبده أن يُعرِّفَهُ نعمه عليه، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله: "ومِن دَقيقِ نِعَمِ الله على العبد التي لا يكادُ يُفطَنُ لها؛ أنه يُغلق عليه بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت ليُعرِّفه نعمته عليه"[(١)].
- ومن لطف الله بعبده تغييب خاتمته، فلو كانت خاتمته حسنة فلربما اتكل على خاتمته وترك العمل أو أعجب به، وإن كانت سيئة فلربما ترك العمل أو قنط من رحمة الله.

وألطاف الله بعباده كثيرة جداً لا يمكن حصرها، وما ذكرناه قليلٌ من كثير.

---

(١) عدة الصابرين (صـ١٣٦).

سادساً: ﴿ اللطف عبادة علينا استشعارها ﴾

اللطف عبادة علينا أن نستشعرها، لا أن يكون الأمر مجرد روتين يومي، بل لابد من استحضار النية في كل عملٍ لطيف نقوم به.

والأمر المؤلم أن نفقد اللطف بالكلية، وكم نرى في حياتنا من نماذج حُرمت اللطف في تعاملها.

فنجد بعضهم قد حُرم اللطف حتى مع والديه، لا يحسن إليهما، ولا يمازحهما، ولا يتبسم في وجههما، وذلك لأنه فهم أن البر بهما هو كف الأذى عنهما وحسب، وهذا مفهوم خاطئ، فالبر بالوالدين يعني الإحسان إليهما، وأن يكون بشوشاً، لطيفاً معهما.

وفي الطرقات، كم نسمع من شتائم، وكم نرى من صراعات بين الناس، وذلك لانعدام اللطف بينهم.

والمرأة مع زوجها، لا تجد منها لطفاً معه، بل ربما جلست عبوسة، تملأ وقته وحياته نكداً، في الوقت الذي نراها مع صديقاتها بشوشة الوجه، لطيفة التعامل.

والمدير مع موظفيه، غالباً يتعامل معهم بفوقية، وينظر لهم نظرة دونية، وربما احتاج الموظف لواسطة حتى يقابله، وإذا قابله كان عابس الوجه، مما يؤثر في نفسية الموظف، وبالتالي يؤثر على عمله وانتاجه، ولو أنه عامله باللطف والأخلاق الحسنة، لرأى منه تفانٍ في العمل.

فعلى المرء أن يتلطف في إيصال البِرّ والإحسان للناس، وقد ذَكَر العلماء في ذلك المعنى حديثَ جابر ﷺ أنه باع جَمَلَهُ إلى النبي ﷺ قبل أن يدخُلَا المدينة، فاشترط عليه جابرٌ ﷺ ظَهْرَه، يعني اشترط عليه أنْ يُوَصِّله إلى المدينة ثم يَسْتَلِمه النبيُّ ﷺ منه بعد أن يصل إلى المدينة عليه.

وانظر إلى هذا اللطف الجميل في البر، يقول جابر ﷺ: "فلما رَجَعَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة أعطاه جَمَلَهُ وأعطاه ثَمَنَه"[(١)].

وذلك من حُسْن البرِّ واللطف منه ﷺ؛ أنه وَجَدهُ يحتاج هذا الجملَ، تُراه يَرُدُّ الجملَ ويأخذ ثمنَه؟ لا، ليس ذلك من اللطف والبِر به، فتَرَكَ له جَمَلَه وثمنَه ﷺ.

ومواقف لطف النبي ﷺ مع صحابته كثيرة جداً، وقد وصفه الله في كتابه فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ

(١) انظر قصة الجمل في: صحيح البخاري برقم (٢٧١٨،٢٠٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٧١٥).

بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[(١)].

هل استشعرتم هذا اللطف من رسول الله ﷺ؟ لم ينهره ولم يعنفه، بل تعامل معه بغاية اللطف، وعلمه ما الذي ينبغي عليه فعله وهو في الصلاة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَصَلَّى ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا». ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ» أَوْ قَالَ: «ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ»[(٢)]، انظروا إلى لطف النبي ﷺ في تعامله مع هذا الموقف الذي لو حصل اليوم ربما ضربه الناس وشتموه وطردوه من المسجد.

بل تعدى لطفه ورحمته ﷺ ليشمل الحيوان والجماد، فعن عبد الله بن جعفرٍ ﷺ قال: أردفني رسولُ الله ﷺ خلفَه ذاتَ يومٍ، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدِّث به أحداً من الناس، وكان أحبُّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هَدَفاً أو حائشَ نخلٍ، قال: فدخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه النبيُّ ﷺ فمسح ذِفْراه فسكتَ، فقال: «من ربُّ هذا الجملِ؟ لمن هذا الجملُ؟»، فجاء فتًى من الأنصارِ، فقال: لي يا رسول الله، قال: «أفلا تتقي اللهَ في هذه البهيمةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعُه وتُدْئبه»[(٣)]. انظر إلى لطفه ﷺ ورحمته بالحيوان، تألم لما أصاب الجمل من جوع وتعب، وأمر صاحبه أن يحسن معاملته وأن يتقي الله به.

وعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ ﷺ قال: "كَانَ المسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ"[(٤)]. وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٥)].

فالجذع حينما بكى شوقاً إلى مقام النبي ﷺ منه؛ جاء نبي الرحمة ﷺ فمسح عليه واحتضنه رأفةً به.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٣٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٣٨٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٨٠).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٢٥٤٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٢٥٤٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٨٥).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه برقم (١٤١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٠٠).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "إذا أردت أن تعامل غيرك بمعاملة؛ فقس ذلك في نفسك، فإن أحببت أن تعامل بها؛ فعامل بها غيرك، وإن كرهت أن تعامل بها؛ فلا تعامل بها غيرك، وهذا الميزان من العدل، وهو الذي يوجب محبة الناس، للشخص واحترامهم له"[١].

(١) أحكام القرآن الكريم (٢/٤٠٠).

سابعاً: ﴿التخلق باللطف والبشاشة﴾

وينبغي كذلك على المسلم أن يقابل اللطف باللطف، والبشاشة بالبشاشة، فإن لطف المعاملة أمراً أخلاقياً مفروضاً، قال ابن القيم رحمه الله: "فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ. فَإِنَّ مُعَامَلَةَ النَّاسِ بِذَلِكَ: إِمَّا أَجْنَبِيٌّ. فَتَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَإِمَّا صَاحِبٌ وَحَبِيبٌ فَتَسْتَدِيمُ صُحْبَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ. وَإِمَّا عَدُوٌّ وَمُبْغِضٌ. فَتُطْفِئُ بِلُطْفِكَ جَمْرَتَهُ. وَتَسْتَكْفِي شَرَّهُ"[1].

أليس من الظلم لأحدهم أن يُلقي عليك السلام بحرارة ثم لا ينجو من خيبتك بعدم ردِّكَ أو بردٍّ منك قد يُطفئ في السلام كل حرارة؟!

أليس من ظُلْمك لأحدهم أن يبشَّ في وجهك ويَبتسم، ثم لا ينجو من عبوسك في وجهه، وتكبُّرك عليه أو إعراضك؟!

أليس من ظُلْمِك لأحدهم أن يرقُص فرحًا سعيدًا لخبر جميل سعيد أصابَكَ، ثم لا ينجو منك من عدم مبالاتك وتبلُّدك نحوه؟!

أليس من ظُلْمك لأحدهم أن يتفنَّن في قُرْبه وتقرُّبه منك، ثم لا ينجو من ابتعادك عنه وذَهابك دونه؟!

أليس من ظُلْمك لأحدهم أن يذكُرَك بين الناس بخير، ثم لا ينجو من تشويهك له وإيذائك بذكر عيوبه وستر حسناته؟!

أليس من ظُلْمِك لأحدهم أن يرغبَ فيك، ثم لا ينجو مِن انصرافك عنه وإعراضِكَ؟!

أليس من ظُلْمك لأحدهم أن تجده عندك دون أن تطلب، ثم لا ينجو من عدم وجودك معه حين يحتاجُك أو يطلب؟!

فينبغي علينا التأسي بنبينا مُحَمَّد ﷺ، ينبغي أن نتعامل فيما بيننا باللطف واللين، وينبغي أن تتفشَّى هذه الأخلاق بين الناس، وأن تكون سُلوكًا وقولًا وعملًا.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٧٨).

ثامناً: ﴿ دعاء الله بأسمائه الحسنى (اللطيف) ﴾

إن أشرف الوسائل وأعلاها وأقواها فيما يتقرب به العبد إلى الله؛ أن يتوسل إليه بأسمائه الحسنى، وقد أمرنا الله في كتابه أن ندعوه بها، فدعاء الله بأسمائه الحسنى والتوسل إليه بها مشروع؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء:١١٠]، ولما ثبت عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)، وللداعي أن يتوسل إلى الله بأي اسم من أسمائه الحسنى، التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ.

ودعاء الله بأسمائه الحسنى من أعظم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَالَ أَحَدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»(٢).

والدعاء بأسماء الله تعالى من أعظم أسباب الشفاء، فإن الله تبارك وتعالى هو خالق البدن ويعلم داءه، وبيده وحده شفاؤه ودواؤه، وخير دواء وأعظم شفاء هو أسماء الله عز وجل، ولذلك حين عاد جبريل عليه السلام رسولَ الله ﷺ في مرضه؛ لم يجد سببًا للشفاء خيرًا من أن يرقيه باسم الله عز وجل، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»(٣).

واعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال ولسان الحال؛ هو من الرحمة بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف، فإذا قال العبد: يا لطيف الطف بي أو لي، وأسألك لطفك، فمعناه: تولني ولاية خاصة بها تصلح أحوالي الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فالأمور الداخلية لطف بالعبد،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم(٢٧٣٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/٢١٥) برقم (٤٣١٨)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١٨٦).

والأمور الخارجية لطف للعبد، فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا قيض الله له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له[(١)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وفي الدعاء المأثور: «اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب»، اللهم الطف بنا في قضائك وبارك لنا في قدرتك، حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت"[(٢)].

فعلى المسلم أنْ يُوحِّد اللهَ تعالى بهذا الاسم ويَدْعُوَه به، كأنْ يقول: "يا لطيف الْطُفْ بنا"، فإنك ما عَرَفْتَ معنى اسم الله تعالى "اللطيف" وعرفتَ سَعة لُطفه سبحانه وتعالى إلا لِتَعرف حظَّك من ذلك، ثم تدعوه جل وعلا به، وتوحِّده به، بهذا الاسم المشرف المعظَّم "اللطيف" سبحانه وتعالى.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (صـ٢٢٧).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (صـ٢٢٦).

﴿الخاتمة﴾

على العبد أن يعرف معنى هذا الاسم العظيم ودلالته؛ ليحقق الإيمان به، ويملأ قلبه رجاءً وطمعاً في نيل فضل الله، واثقاً بربه اللطيف ومولاه الكريم.

فالله سبحانه لطيف يلطف بعباده المؤمنين، ويحسن إليهم، ويرفق بهم، فلا يعجل عليهم العقوبة، ويسوق لهم الخير من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون، بل يسوق لهم الخير من حيث يكرهون، كل هذا وغيره من ألطاف الله يدعو القلوب لمحبته والتعلق به سبحانه، وهذه المحبة تثمر التقرب إليه سبحانه بأنواع العبوديات، كما تثمر الحياء والإجلال له سبحانه، الذي يدفع العبد إلى تعظيم حرماته فلا يغشاها، وحدوده فلا يقربها، كما تثمر هذه المحبة الدعوة إليه سبحانه والجهاد في سبيله، والتضحية بالنفس والمال في سبيل مرضاته عز وجل.

وعلى العبد أن يستشعر دائماً لطف الله به، ويوقن به، فإنه إن أدرك لطف الله تعالى في حياته رغم تقصيره ورغم معاصيه فإنه سيستشعر رحمة الله به في جميع أحواله.

ومن استشعر لطف الله به في كل صغيرة وكبيرة، في المنع والعطاء، في الشدة والرخاء؛ امتلأ قلبه حباً و طمأنية ورضا.

أوصى ابن قدامة رحمه الله إخوانه قائلاً: "واعلم أنّ مَن هو في البحرِ على اللَّوح ليسَ بأحوجَ إلى اللهِ وإلى لطفهِ، ممنْ هو في بيتِهِ بينَ أهلِهِ ومالِهِ، فإذا حققتَ هذا في قلبِك؛ فاعتمِد على اللهِ اعتمادَ الغريقِ الذي لا يَعلمُ له سببُ نجاةٍ غيرَ الله"(١).

اللهم يا لطيف الطف بنا، والطف لنا، وقدِّر لنا من ألطافك الرحيمة ما تُقوِّم به عِوَجَ نفوسنا، وتهدي به ضالَّ قلوبنا، وتُجمِّل به شعث حياتنا.

اللهم إنك لطيف لِما تشاء، وأنت العليم الحكيم، ارفَعْ عنا البلاء والشقاء، وأعِذْنا من الشيطان الرجيم.

اللهم ارزُقنا لطفَ المعاملة والذوق المنشود، ونسألك ألَّا تفوتَ علينا فُرَصَ الخير، واجعلنا ممن يدركون بحُسْن خُلُقهم درجة الصائم القائم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الوصية المباركة (ص٧٧).